

الاحد الخامس عشر من زمن العنصرة

قطع رأس يوحنا المعمدان

عبرانيين ١١ : ٣٣-٤٠

مرقس ٦ : ١٤-٢٩

شروع السلطة المرتبهة

يتزامن هذا الاحد مع ذكرى قطع رأس يوحنا المعمدان. يروي مرقس الانجيلي هذه الحادثة، ليهيء قراءه لمأساة قتل الرب يسوع. يوحنا ويسوع هما ضحية الحقد من جهة الشعب، والارتهان للمصالح الخاصة من جهة السلطة السياسية.

اولاً، القراءات المقدسة

من انجيل القديس مرقس ٦ : ١٤-٢٩

وسَمِعَ الْمَلِكُ هِيرُودُسُ بِيَسُوعَ، لِأَنَّ اسْمَهُ صَارَ مَشْهُورًا، وَكَانَ أَنَاسٌ يَقُولُونَ: "إِنَّ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانَ قَامَ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ، وَلِذَلِكَ تَجْرِي عَلَى يَدِهِ الْأَعْمَالُ الْقَدِيرَةَ". وَأَخْرُونَ يَقُولُونَ: "إِنَّهُ إِبِلِيَّا". وَأَخْرُونَ يَقُولُونَ: "إِنَّهُ نَبِيٌّ كَأَحَدِ الْأَنْبِيَاءِ". وَلَمَّا سَمِعَ هِيرُودُسُ قَالَ: "إِنَّ يُوْحَنَّا الَّذِي قَطَعْتَ أَنَا رَأْسَهُ، هُوَ نَفْسُهُ قَامَ". وَهِيرُودُسُ هَذَا كَانَ قَدْ أَرْسَلَ فَقَبَضَ عَلَى يُوْحَنَّا وَكَبَلَهُ فِي السَّجْنِ، مِنْ أَجْلِ هِيرُودِيَا امْرَأَةِ أَخِيهِ فِيلِبُّسَ، وَكَانَ قَدْ تَزَوَّجَهَا؛ لِأَنَّ يُوْحَنَّا كَانَ يَقُولُ لَهُ: "لَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَتَزَوَّجَ امْرَأَةَ أَخِيكَ!". وَكَانَتْ هِيرُودِيَا نَاقِمَةً عَلَيْهِ تَرِيدٌ قَتْلَهُ فَلَا تَسْتَطِيعُ؛ لِأَنَّ هِيرُودُسَ كَانَ يَهَابُ يُوْحَنَّا، لِعِلْمِهِ أَنَّهُ رَجُلٌ بَارٌّ قَدِيسٌ. وَكَانَ يُحَافِظُ عَلَيْهِ، وَيَحْتَارُ جِدًّا عِنْدَمَا يَسْتَمِعُ إِلَيْهِ، لَكِنَّهُ كَانَ يَسْتَمِعُ إِلَيْهِ بَارْتِيَاخَ. وَكَانَ يَوْمَ مُوَاْفِقٍ، عِنْدَمَا أَقَامَ هِيرُودُسُ، فِي ذِكْرَى مَوْلِدِهِ، عَشَاءً لِعُظَمَائِهِ وَفُؤَادِهِ وَأَعْيَانِ الْجَلِيلِ. وَدَخَلَتْ ابْنَتُهُ هِيرُودِيَا وَرَقَصَتْ فَأَعْجَبَتْ هِيرُودُسَ وَالْمُتَكَبِّرِينَ مَعَهُ. فَقَالَ الْمَلِكُ لِلصَّبِيَّةِ: "أَطْلُبِي مِنِّي كُلَّ مَا تُرِيدِينَ فَأَعْطِيكِ إِيَّاهُ". وَحَلَفَ لَهَا: "أَعْطِيكِ كُلَّ مَا تَطْلُبِينَ، وَلَوْ نِصْفَ مَمْلَكَتِي!". فَخَرَجَتْ وَقَالَتْ لِأُمِّهَا: "مَاذَا أَطْلُبُ؟". فَقَالَتْ: "رَأْسَ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانَ!". وَفِي الْحَالِ دَخَلَتْ مُسْرِعَةً إِلَى الْمَلِكِ وَطَلَبَتْ قَائِلَةً: "أُرِيدُ أَنْ تُعْطِيَنِي حَالًا عَلَى طَبَقٍ رَأْسَ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانَ!". فَأَعْتَمَّ الْمَلِكُ جِدًّا. وَلَكِنْ مِنْ أَجْلِ الْقَسَمِ وَالْمُتَكَبِّرِينَ لَمْ يَشَأْ أَنْ يَرُدَّ طَلِبَهَا. وَفِي الْحَالِ أَرْسَلَ الْمَلِكُ سَيِّفًا، وَأَمَرَهُ أَنْ يَحْمِلَ إِلَيْهِ رَأْسَ يُوْحَنَّا. فَذَهَبَ السَّيِّفُ وَقَطَعَ رَأْسَ يُوْحَنَّا فِي السَّجْنِ، وَحَمَلَ الرَّأْسَ عَلَى طَبَقٍ، وَأَعْطَاهُ لِلصَّبِيَّةِ، وَالصَّبِيَّةُ أَعْطَتْهُ لِأُمِّهَا. وَسَمِعَ تَلَامِيذُ يُوْحَنَّا بِالْخَبَرِ فَذَهَبُوا وَرَفَعُوا جُثْمَانَهُ، وَوَضَعُوهُ فِي قَبْرِ.

يُلقب يوحنا المعمدان " بالسابق " لانه يهيء الطريق للرب يسوع، فيسبقه في كل شيء، حتى بقطع رأسه على يد هيرودس الحاكم المرتهن، تلبية لطلب هيروديا الحاقدة.

في بداية انجيل مرقس، نجد **يوحنا المعمدان** يحقق نبوءة اشعيا: " ها اني ارسل ملاكي امام وجهك، وهو يمهّد طريقك... فجاء يوحنا يعمّد في البرية ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا" (مر ١: ٢ و٤). ومن بعده جاء **يسوع** الى الجليل يكرز بانجيل الله ويقول: " لقد تمّ الزمان، واقترب ملكوت الله، فتوبوا وأمنوا بالانجيل" (مر ١: ١٤-١٥).

كان **يوحنا** يعيش في البرية، يلبس ثوباً من وبر الجمال، ويشدّ وسطه بحزام من جلد، ويقنات من الجراد وعسل البراري (مر ١: ٦). **ويسوع**، من بعده، خرج الى البرية مع الوحوش، واقام فيها اربعين يوماً (مر ١: ١٢-١٣).

في نص انجيل اليوم، عندما سمع هيرودس بيسوع، اعتقد ان **يوحنا** الذي قطع رأسه قد قام من بين الموات، وكان بذلك مخطئاً (آية ١٦). اما **يسوع** فسيقوم حقاً من الموت (مر ١٦: ٦-٨).

وكما **هيروديا** التي كانت تختزن في قلبها حقداً على يوحنا، لانه كان يوتّخ هيرودس على زواجه منها عن غير وجه شرعي، فكان صوته مزعجاً لضميرها (آية ١٩)، هكذا رؤساء الكهنة والكتبة سيحققون على يسوع بسبب توبيخ ضميرهم، " فكانوا يخافونه، والجمع كله بُهت من تعليمه" (مر ١: ١٨)، و " كانوا يبحثون كيف يقبضون عليه بحيلة ويقتلونه" (مر ١: ١٤).

ومثل **هيرودس** الذي "كان يهاب يسوع، لعلمه انه رجل بارّ قديس، وكان يحافظ عليه، ويستمتع اليه بارتياح، وقد اغتم جداً عندما طلبت ابنة هيروديا رأس يوحنا المعمدان" (الآيات ٢٠ و٢٤-٢٦)،

لكنه فعل بسبب ارتهانه لهيروديا، هكذا **بيلاطس** الذي لن يكون مقتنعاً من اي جرم ارتكبه يسوع، ومع ذلك اسلمه للصلب ارضاءً للشعب (مر ١٥: ١٤-١٥). هذه حال كل سلطة بشرية ترتهن لمصالح شخصية على حساب الحقيقة والعدالة والمحبة.

وكما **تلاميذ يوحنا** " ذهبوا ورفعوا جثمان يوحنا، ووضعوه في قبر " (الآية ٢٩)، هكذا يوسف الذي من الرامة جاء " فانزل يسوع عن الصليب، ولفه في الكفن، ووضعوه في قبر كان قد حفره في الصخر ودحرج حجراً على باب القبر، بحضور مريم المجدلية ومريم ام يوسي " (مر ١٥: ٤٦-٤٧). واراد مرقس الانجيلي ان يدعونا نحن الذين جننا بعد الرب يسوع ان يهيء دربه الى النفوس والقلوب، كما فعل يوحنا؛ وان نسير على خطى الرب في قبول سر الصليب والألم، وان نحتمل مثله الجور والحقد من الناس، " فمن يصبر الى المنتهى يخلص " (مر ١٣: ١٣). نص الرسالة الى العبرانيين يتحدث عن الذين في العهد القديم هياؤوا باستشهاد الدم مجيء الرب يسوع الذي افتدى البشرية جمعاء بموته على الصليب، وأحيا الجميع بقيامته.

ثانياً، الرسالة العامة للبابا بندكتوس السادس عشر: " المحبة في الحقيقة "

نصت الرسالة البابوية على ان **الانماء الزراعي** (الفقرة ٢٧) يسهم اسهاماً كبيراً في "الانماء الانساني الشامل" الذي هو موضوع الرسالة العام.

١. في الندوة الصحافية التي اقيمت في المركز الكاثوليكي للاعلام^١، حول تطبيق الرسالة في قطاع الانماء الزراعي، تبين ان **قطاع الزراعة** في لبنان، مثل غيره من القطاعات الانتاجية، بات **ضحية الاهمال من قبل السياسة الاقتصادية** على مدى سنوات. السبب يعود الى **تفاقم الدين العام**، وبالتالي الى تراجع التوظيفات الاستثمارية المنتجة للسلع والخدمات. فدخل اصحاب الرساميل في اقتصاد ريعي عوض اقتصاد الاستثمار والانتاج، ما كان من اهم اسباب الانكماش وتراجع السيولة في حركة التبادل. والانفاق الحكومي اعتمد على الاستيراد والعمالة الاجنبية، فارتفعت المديونية بسبب تمويل الانفاق الجاري عبر الاستدانة، وفاقت اعباء التسديد المداخيل الناجمة عن الانفاق.

واقع الدين العام يتجاوز اليوم **٥٥ مليار دولار اميركي**. يمثل نحو ١٤٣ في المئة من الناتج المحلي القائم، ويشكل عبئاً كبيراً على الاقتصاد الوطني بشكل عام، وعلى القطاع الزراعي بشكل خاص، وبالتالي على الموازنة العامة، بحيث يزيد من العجز، ويوسع بند خدمة الدين في النفقات العامة، ما يقود الحكومة الى زيادة الرسوم والضرائب للتخفيف من عبء هذا العجز او الارتهان الى الخارج بصورة مستمرة. بالنسبة الى الناتج المحلي الزراعي يشكل هذا الدين نحو ٢٨ ضعفاً، ويضغط بعبئه اكثر فاكثر على الزراعة والمزارعين وكل العاملين في مجال الخدمات الزراعية من تصنيع زراعي او تجارة للمستلزمات الزراعية وادواتها. ان القطاع الزراعي يساهم بنسبة ٨ في المئة من الناتج القائم بحسب نجاح المواسم والقدرة على تسويق الانتاج وتصديره. في سنة ٢٠٠٧ لامس الانتاج الزراعي عتبة الملياري دولار اميركي، ولم يلق من الحكومة الاهتمام الكافي.

٢. بينت الندوة الصحافية **خلاف الادعاء المشكك** باهمية القطاع الزراعي وبامكانية اللحاق بالقطاعات المنتجة الاخرى كالخدمات والصناعة والسياحة والمصارف والتأمين وسواها.

فالزراعة مورد رئيس للدخل، بل المورد الوحيد للريف اللبناني. فلا بد من تحقيق الانماء الاقتصادي المتوازن، تطبيقاً لوثيقة الوفاق الوطني، وتعزيز الزراعة بشقيها النباتي والحيواني. ومعروف ان الدخل الزراعي يساند العاملين في القطاعات الاخرى كالتجارة والصناعة والسياحة والخدمات. فاي اهمال للزراعة يؤدي الى انخفاض في الدخل القومي ككل. فانها ما زالت مورداً رئيساً للصادرات اللبنانية، ولتأمين العملات الصعبة وتحسين ميزان المدفوعات والميزان التجاري.

^١. جرت الثلاثاء ٢٥ ايار ٢٠١٠، مداخلة الاستاذ ميشال عقل، رئيس اللجنة الزراعية في غرفة التجارة الدولية، فرع لبنان.

الانتاج الزراعي النباتي والثروة الحيوانية والثروات الطبيعية من مراعي وغابات وصيد أسماك، مع الاهتمام بالثروة البيئية، تعود كلها بالفائدة على المجتمع ككل وبالأخص على الاجيال الطالعة.

٣. يواجه القطاع الزراعي مشاكل عدّة أهمها:

- أ- انحسار الاسواق الخارجية امام الانتاج الزراعي المصدّر. كان لبنان يصدر عنب المائدة والحمضيات والموز والتفاح والفاكهة الصيفية والخضار والبيض الى دول الخليج ومصر والاردن وليبيا وايران ودول اوروبا الشرقية، فتضاءلت صادراته الى دول الخليج ومصر وليبيا والاردن، وانعدمت الى سوريا وايران وبلدان اوروبا الشرقية. والسبب يعود الى التطور السريع في الانتاج الزراعي في دول مجاورة لبنان، والمنافسة الخارجية الشرسة.
- ب- اقتصار دعم القطاع الزراعي، في السياسة المتبعة، على دعم زراعة التبغ والقمح، واهمال الزراعات الاخرى كالزيتون والكرمة والزراعات العلفية لتصوير الانتاج والثروة الحيوانية. فمن الواجب على الحكومة اللبنانية مواصلة برنامج دعم الصادرات، اكسبورت بلاس، الذي اطلقتها عبر المؤسسة العامة لتشجيع الاستثمارات في ١٤ آب ٢٠٠١.
- ج- ضعف البنية التحتية للزراعة؛ وتحول اليد العاملة الزراعية اللبنانية الى قطاعات اخرى، واستبدالها بيد عاملة اجنبية؛ وشبه انعدام مشاريع الري. فالرقعة المروية في لبنان لا تتعدى ٨٥,٠٠٠ هكتار من الاراضي، بينما في سوريا- تناهز تقريباً مليوناً ومائتي الف هكتار؛ والغاء التسليف الزراعي ومصرف التسليف الزراعي والصناعي والعقاري الذي أنشئ سنة ١٩٥٤.
- د- تعثر الابحاث العلمية الزراعية والتعليم الزراعي.
- هـ- تفعيل وزارة الزراعة وتحفيز العاملين فيها، ليستفيد المزارع من برامجها ومشاريعها.
- و- اهمال الثروات الطبيعية: المراعي في تدهور مستمر، الغابات في طور الانقراض بسبب القطع الجائر والحرائق والماعز، والصيد والاسماك بحاجة الى تنظيم.

ثالثاً، تحضير جمعية سينودس الاساقفة الخاصة بالشرق الاوسط

- ننهى اليوم الفصل الاول من " اداة العمل" الذي يدور حول اوضاع المسيحيين الراهنة في بلدان الشرق الاوسط. فنتناول دور المسيحيين في حياتهم اليومية تجاه هذه الاوضاع (الفقرات ٥١-٥٣).
١. دور المكرسين في الحياة الرهبانية التأملية: مواصلة الصلوات التشفعية من اجل المجتمعات المشرقية: لمزيد من العدالة في السياسة والاقتصاد، ومزيد من التضامن والاحترام في العلاقات العائلية، ومزيد من الشجاعة للتنديد بالمظالم، ومزيد من الوعي لعدم الانزلاق في صراعات المجتمع، ومزيد من النزاهة لعدم السعي الى المصالح الشخصية على حساب الصالح العام.
 ٢. دور المكرسين في الحياة الرهبانية الرسولية: اعطاء شهادة حياة مسيحية ومثالية في عيش المشورات الانجيلية، الطاعة والعفة والفقر، والمباشرة في اداء الشهادة الانجيلية من خلال نشاطات المؤسسات الرهبانية على مستوى اعلان الانجيل، والتنمية الانسانية في كل من مجال الصحة والتربية والثقافة، وعلى مستوى تفعيل العمل المسكوني من اجل وحدة المسيحيين، والحوار مع الاديان.
 ٣. دور اعضاء شعب الله وفقاً للحالة العلمانية والاكليزيكية والدعوة الخاصة: اظهار المزيد من الانسجام بين الحالة الشخصية والحياة المعاشة، ولاسيما في اداء المؤسسات الاجتماعية والخيرية والتربوية؛ تنشئة الاكليروس والمؤمنين على اعطاء المعنى الحقيقي لايمانهم، وعلى وعي دورهم في المجتمع، وعلى البحث عن الله ورؤيته في كل شخص وشيء، الاهتمام بجعل الله حاضراً في المجتمع من خلال ممارسة الفضائل الانسانية والاجتماعية كالعدالة والنزاهة والاستقامة وروح الضيافة والتضامن وانفتاح القلب وطهارة الاخلاق والامانة، وغيرها.
 ٤. دور الكنيسة: تكوين الكوادر الضرورية من كهنة ورهبان وراهبات وعلمايين، رجالاً ونساءً، لكي يكونوا في مجتمعهم شهوداً حقيقيين لله الأب، وليسوع المسيح القائم من الموت، وللروح

القدس الذي افاضه على كنيسته، وليثبتوا اخوتهم في الايمان وسط المحن، وليحافظوا على النسيج الاجتماعي ويساهموا في بناء المجتمع.

صلاة

ايها الرب بيسوع، نسألك، بشفاعه القديس يوحنا المعمدان، ان تزرع في قلوبنا الشجاعة لنشهد للحق وندين الباطل، فلا نساوم على ما علمتنا من حقيقة، هي حقيقة الله والانسان والتاريخ. ضع في المسؤولين روح العدل والانصاف والتجرد من المصالح الذاتية ليحكموا بكل ما يحمي كرامة الشخص البشري وقدسيته وحقوقه. وألهمهم في سعيهم الى تحقيق الانماء الانساني الشامل، من خلال تنمية كل القطاعات المنتجة ولاسيما القطاع الزراعي: النباتي والحيواني والطبيعي. ولترافقنا انوار روحك القدوس في تحضير جمعية سينودس الاساقفة الخاصة بالشرق الاوسط، فيلتزم الجميع، مكرسين ومكرسات، كهنة وعلمانيين، باعداد الذات لهذه العنصرة الجديدة التي من شأنها ان تجددنا لننطلق من جديد في حمل رسالتنا المسيحية لاهياء مجتمعاتنا المشرقية. فرفع للآب والابن والروح القدس آيات المجد والتسبيح الآن والى الابد- آمين.
